مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكّمة -نصف سنوية

Journal of Human Sciences

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب. ليبيا

Al - Marqab University- Faculty of Arts- alkhomes

26

العدد

السادس

والعشرون

مارس2023م

تصنيف الرقم الدولي (ISSI/2710-3781)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)

نماذج من شبهات المستشرقين حول اللغة العربية

إعداد: أ. سمية عبد السلام عريبي

الملخص:

يتناول البحث قضية من أهم القضايا التي تتعلق بالهُوية العربية والإسلامية؛ حيث يبرز الدراسات الاستشراقية حول اللغة العربية، ويسلط الضوء على بعض هذه الدراسات لوضع طرق التعامل المناسبة لها؛ لاسيما وأن قضية الحفاظ على الهُوية العربية الإسلامية هي قضية متجددة مع كل عملية انفتاح على الآخر وتقارب التعامل معه.

ويمكن تلخيص أبرز أهداف هذا البحث في إبراز أصالة اللغة العربية، وإثبات أنها صالحة لكل زمان ومكان، وفي ذات الوقت معرفة شبهات المستشرقين حول اللغة العربية من خلال دراسة نماذج تطبيقية قديمة ومعاصرة لمستشرقين تناولوا اللغة العربية دراسة ونقدًا.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين... وبعد:

فإن اللغة العربية هي اللغة التي اصطفاها الله –عز وجل– لغةً للوحي الخاتم، ووعاء للكلمة الربانية، وإنما كان هذا التشريف لعظمتها وسعتها وقدرتها على استيعاب لفظه وغايته، ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1] .

وأهمية هذه اللغة من أهمية الوحي المنزل بها، فهي مفتاح فهمه ومدخل بوابته، لذلك اعتنى بها (المستشرقون) أيما عناية؛ افتتانًا وانجذابًا؛ افتتانا بسحرها، وانجذابًا لعمق بحرها.

وهذا البحث بعنوان: **(نماذج من شبهات المستشرقين حول اللغة العربية)** نتناول فيه بعضًا من اهتمام المستشرقين باللغة العربية؛ ومن ثم نتائج تفاعلهم مع هذه اللغة، ونسلط الضوء هنا على شبهاتهم حول اللغة العربية، مع محاولة تفنيدها.

مشكلة البحث:

تعامُل المستشرقين مع اللغة العربية أفرز عدة نتائج، منها ما يصب في صالحها؛ ومنها ما يصب الشبه عليها وفق نتائج المناهج الاستشراقية التي تعالج اللغة وعلومها، ومن هنا جاء هذا البحث لتوضيح هذه الشبه التي أثارتها الدراسات الاستشراقية ومحاولة وزنها والرد عليها، مجيبا على الأسئلة التالية: ما أهمية اللغة في ذاتها؟ وكيف كان اهتمام المستشرقين بها؟ وما الشبه التي أوردوها حولها؟

أهداف البحث:

يمكن تلخيص أبرز أهداف هذا البحث في إبراز أصالة اللغة العربية، وإثبات أن اللغة العربية صالحة في كل زمان ومكان، ويحمل دعوة لعلماء اللغة العربية إلى النهوض بها، وإحيائها، وتجديدها، ويهدف البحث إلى معرفة شبهات

1 – سورة الزمر، الآية:28.

المستشرقين حول اللغة العربية من خلال دراسة نماذج تطبيقية قديمة ومعاصرة لمستشرقين تناولوا اللغة العربية دراسة ونقدًا.

أهمية البحث:

يدرس البحث قضية من أهم القضايا في الهوية العربية والإسلامية، حيث إن نتائج الدراسات الاستشراقية لاقت قبولاً في الكثير من الأوساط الأدبية والفكرية والثقافية العربية والاسلامية ذاتها، بالتالي فتأثيرها لم يقف على المستشرقين فقط، بل دخل لصلب الهوية العربية والإسلامية، وشكل تراكمًا معرفيًا لا يمكن تجاهل الآثار الناتجة عنه وعن معالجته، وهذا البحث يسلط الضوء على بعض هذه الآثار لوضع طرق التعامل المناسبة لها؛ لاسيما وأن قضية الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية هي قضية متجددة مع كل عملية انفتاح على الآخر وتقارب التعامل معه.

تمهيد: أهمية اللغة ودورها

اللغة: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1] وهي مستخدمة في تحقيق الاتصال؛ ودورها هذا من أبرز وظائفها[2]، فوظيفة اللغة متسعة لتستوعب جميع أسباب استخدامها حسب المتكلمين بها، وهذا أمر لا يمكن حصره، وهو ما يستلزم قبولها للتوسيع والتغيير والمرونة؛ لأن الأغراض تختلف باختلاف الأفراد

1- الخصائص لابن جني، جـ1، ص33، لم نشأ تطويل البحث بالعرض المفصل لمفهوم اللغة؛ وللمزيد ينظر: التعريفات للجرجاني، ص26، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ج: 2، ص 131، ودلائل الإعجاز للجرجاني، ص 44، والبنيوية لجان بياجيه، ص64.

2- وصف اللغة العربية دلاليًا، محمد يونس علي، ص50، وللمزيد حول وظائف اللغة؛ ينظر: قضايا الشعرية لرومان جاكبسون، ص30 وما بعدها.

والأزمنة والأحوال[1]، واللغات تختلف في قبول ذلك التوسيع والتغيير من لغة لأخرى مراعاةً لعوامل عدة.

فاللغة أداة مهمة بل الأهم في التواصل على كافة مستوياته؛ العقلي والفكري والثقافي، وهي جسر العبور بين الأفراد والجماعات والأمم والحضارات، وتمثل بصورها المحكية والمكتوبة سجلا للإنتاج الفكري والثقافي والفني والأدبي، فلا يمكن وجود ثقافة وحضارة دون وعاء لغوي، فالحضارات تتحاور وتتداخل وتتلاقح وتتصارع وتتكامل، وكل ذلك باللغة.

واللغة تربط الفرد بأمته وحضارته التي ينتمي إليها، وبالتالي هي ليست حروفًا مجردة، بل وراءها مستوى عالٍ من التواصل والنضج، كما أن للغة دورًا مهمًا في تحديد الهوية للأفراد والجماعات؛ فاللغة هي اللاعب الحقيقي في تاريخ العالم،[2] والمجتمعات تتقدم بالاهتمام بلغتها وتطويرها، كونها قاسمًا مشتركًا للم الصف، وتتأخر . المجتمعات . بهجر لغتها واضعافها.

والتبعية الفكرية والثقافية والانبهار بالآخر يضعف اللغة التي هي وجه من وجوه الهوية[3]، ومن أراد القضاء على الهوية؛ فاللغة بوابته لذلك، "فالمغلوب مولع أبدا بغالبه"[4].

1- وصف اللغة العربية دلاليًا، ص51.

2 -للمزيد يمكن الاطلاع على مباحث علم اللغة الاجتماعي.

3 - جدل العلاقة بين اللغة والهوية، عيسى برهومة، وللمزيد ينظر: اللغة والهوية وحوار الحضارات، نادية مصطفى وسيف الدين عبد الفتاح، ص83 وما بعدها، والهوية العربية والأمن اللغوي، عبد السلام المسدي، (مواضع متفرقة من الكتاب).

4-المقدمة، لابن خلدون، ج1، ص258.

كما أن للغة دورًا مهمًا في الفكر والتفكير، فهما كورقة؛ الفكر صفحتها واللغة ظهرها[1]، وكما لا يمكن أن نقطع الصفحة دون قطع ظهرها؛ فلا يمكن فصل اللغة عن الفكر[2]، كما أن للغة دورًا بارزًا في تحقيق الانسجام والوحدة الفكرية بين أبناء الهوية الواحدة، وتقرب التفاهم وتبعد التنازع الداعي للفرقة والخلاف، كما أن للغة أثرًا ملحوظًا في التشكيلات الجغرافية ورسم الحدود السياسية؛ حيث تسهم في تشكيل الأقاليم والحدود الجغرافية، أو تخلق بعض الهويات اللغوية توترًا داخل تشكيل جغرافي معين[3].

المطلب الأول: اهتمام المستشرقين باللغة العربية

لا نضيف جديدًا إذ نوثق أن الفشل العسكري (للغرب) في السيطرة على (الشرق) دعاه للتفكير الجاد في أساليب أخرى للتغلغل في هذا (الشرق)، بعد أن أيقن أن الأفكار لا تهزم في أرض المعارك، وأن الفكرة لا تجابه إلا بالفكرة، غير أن هذا قد يكون مجانبًا للصواب حين يُعد هو السبب الوحيد؛ لارتباطه بالفشل بعد (الحروب الصليبية) (1096-1291م)؛ والاهتمام بالعربية حدث حتى قبلها، كما أنه ينفي أي اهتمام بالعربية لأغراض علمية وثقافية وحضارية.

لذلك قد يكون من المناسب تقسيم اهتمام المستشرقين بالعربية إلى مراحل، تابعة في الواقع لحركات المد والجزر بين (الشرق والغرب) أو بين الإسلام

1-يرجع هذا التشبيه للفرنسي دي سوسير في كتابه دروس في الألسونية العامة.

2- العلاقة بين اللغة والفكر، أحمد حماد، ص17 وما بعدها.

3 -كما هو الحال على سبيل المثال إقليم الكيبك في كندا.

والمسيحية عبر الزمن، مع ملاحظة أن اجتثات كل مرحلة من فك الأخرى من الصعوبة بمكان.[1].

فالصلة بين الاستشراق واللغة العربية صلة وثيقة ممتدة موغلة في القدم، حتى بالغ البعض في تقدير هذه الصلة؛ فذهب إلى أن الاستشراق يختص بفقه اللغة خاصة.[2]

وأبرز نقطة تماس بين الاستشراق والعربية يمكن تسجيلها؛ هي في الأندلس إبان تواجد المسلمين فيها؛ إذ كان إعجاب الغرب باللغة العربية والحضارة الإسلامية عظيمًا، حتى أصبحت العربية في ذلك الوقت هي معيار الثقافة عند الغرب، ما دعا المتعصبين منهم للقلق قائلين: "المسيحيون يدرسون كتب الفقهاء المسلمين وفلاسفتهم لا لتفنيدها والرد عليها؛ بل للتعلم بأسلوب عربي بليغ وجميل، والشبان المسيحيون لا يعرفون علمًا ولا أدبًا ولا لغة إلا العربية، ويقبلون على الكتب العربية بنهم وشغف، في الوقت الذي يحتقرون فيه الكتب المسيحية وينبذونها".[3]

من هذا الإقبال على العربية حدثت حركات ترجمة واسعة، لأغراض وأسباب متعددة أسهمت في نشر اللغة العربية، حتى إن إسبانيا والدول الأوروبية الأخرى أرسلت الرهبان والقساوسة لطلب العلم في الجامعات العربية كجامعة

1 –للاطلاع على هذه المراحل ينظر: نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي الحاج، من ص 37، جـ1، ولاهتمام المستشرقين بالعربية دوافع وأسباب عدة؛ لم نشأ تطويل البحث بها، وللاطلاع عليها ينظر: المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية، إسماعيل عمايرة، ص16 وما بعدها.

2– المستشرقون والمناهج اللغوية، إسماعيل عمايرة، ص16 ، وقد يكون ذلك صحيحًا في بعض مراحل الاستشراق.

3–نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي الحاج، جـ1، ص42،41.

قرطبة،[1] وتوج هذا الإقبال بتوصية مؤتمر فيينا1312م بتدريس اللغة العربية رسميا في المراكز العلمية الأوروبية.[2]

ويضاف إلى الانبهار بالعربية؛ الحرية الدينية التي كفلها المسلمون لأهل الديانات الأخرى، والتسامح الإسلامي معهم[3]، مما ألف قلوب الناس للحضارة الإسلامية ودفع فضولهم لتعلم اللغة العربية، مما أدى لقلق الكنيسة من المد الإسلامي وخوفها من انكماش المسيحية.

وكان من نتائج قلقهم التفكير الجدي في ترجمة الكتاب المقدس للمسلمين، لفهمه والرد عليه، وتنفير المسيحيين من الدخول فيه، وصرف المسلمين عنه، وأول من دعا لذلك ورعاه رسميًا (بطرس المبجل) وأنجزت هذه الترجمة عام 1143م[4] .

ويمكن أن تعد هذه الخطوة الأبرز في الدعوة إلى العربية، بعد حركات الترجمة العلمية السابقة لها، وربطها بالاستشراق والتنصير؛ لأن أحلام هداية المسلمين لمحاسن المسيحية ظلت حبيسة اللاتينية[5]، وأيقنوا أن العربية هي الأداة التي توصلهم لعقول المسلمين، وأنها مدخلهم السياسي والاقتصادي والثقافي للعرب والمسلمين، ويدل على هذا قول (بطرس المبجل) نفسه في خطابه للمسلمين: (إنني

1- المرجع نفسه، الجزء والصفحات نفسها.

2 - المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، إسماعيل عمايرة، ص 377؛ ونقد الخطاب الاستشراقي، ساسي الحاج، جـ1، ص45.

3- المستشرقون، نجيب العقيقي، جـ1، ص88.

4- نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي الحاج، جـ1، ص45.

5- المرجع نفسه، جـ1، ص 45.

لا أهاجمكم كما يفعل كثيرون بيننا بالسلاح، إنني أوجه إليكم كلمات فقط، بغير عنف، وبتعقل وهدوء من غير كراهية، وبحب كبير...).[1]

وفي معرض الحديث عن اهتمامهم بالعربية؛ لا يمكن تجاوز أنهم حققوا إنجازات كثيرة ومتنوعة للغة العربية، وكان اهتمامهم بكل ما يتصل بها من قريب أو بعيد؛ فقهها وأصواتها ولهجاتها ونحوها وصرفها ومعاجمها وفلسفتها وأصولها وعلاقتها باللغات الأخرى، والكثير منهم بذل جهودًا كبيرة في خدمة المعجم العربي تحقيقًا وترجمة ونشرًا.[2].

المطلب الثاني: شبهات المستشرقين حول اللغة العربية وتفنيدها

ينطلق المستشرقون من الناحية المنهجية في دراسة اللغة العربية وآدابها من المناهج التي تدرس بها لغاتهم وآدابهم، ويطبقون على الإسلام واللغة العربية المعيار النقدي ذاته الذي يطبقونه على دياناتهم وآدابهم وتاريخهم[3]، ولا شك أن تطبيق ذات المعايير على أمرين مختلفين في الأصل والمعطيات والغاية؛ سينتج عنه نتائج مجانبة للصواب بقصد أو بدونه .

وانطلاقًا من هذا فإن الدراسات الاستشراقية للغة العربية على مميزاتها وخدماتها التي قدمتها للعربية فيما يتعلق بالنشر والتحقيق والترجمة التي أظهرت التراث الإسلامي للعالم؛ فإنها من ناحية أخرى أثارت على العربية العديد من الشبه والاتهامات الناتجة عن خطأ المنهج والاجراءات أحيانا، وعن نية مبيته أحيانًا أخرى خاصة مع تضافر تلك الدراسات مع الخطط (الاستعمارية والتنصيرية).

1 –المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، إسماعيل عمايرة، ص375.

2– المرجع نفسه، ص374؛ والتأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية بين الانصاف والاجحاف، محمد عيساوي، ص302 وما بعدها.

3– أثر الاستشراق في اللغة العربية وآدابها، محمد التماس خان، ص 75.

ونوضح في هذا المطلب بعض الشبه التي أوردوها على العربية مع محاولة تفنيدها ما أمكن، ولعل أبرز هذه الشبه:

- ازدواجية اللغة (الفصحى والعامية).
- الجمود والعجز عن مواكبة التطور العلمي.
- عدم أصالة النحو العربي.
- صعوبة الحرف العربي والاملاء وصعوبة النطق والكتابة.

أولاً- ازدواجية اللغة:

ظهر مصطلح الازدواجية أول ما ظهر عند الفرنسيين على يد (وليم مارسيه) الذي نحت هذا المصطلح وعرفه بأنه التنافس بين لغة أدبية مكتوبة، ولغة عامية شائعة[1]، ثم نقله الانجليزي (شارل فرغسون) إلى الإنجليزية ليدل على شكلين مختلفين من استخدام اللسان نفسه؛ أي أنه تنافس بين نوعين للسان واحد[2]، ويقصد به وجود العامية بجانب الفصحى، فالفصحى هي التي تستخدم في تدوين الإنتاج الأدبي والعلمي وفي الدوائر الرسمية، والعامية هي لغة الحياة اليومية بكل ما فيها.

إذا كان هذا هو تعريف الازدواجية، فإنها بهذا المعنى؛ تشكل شرخًا في مكونات عملية التداول اللغوي اليومي، فتجعل الكتابة بصفتها مظهرًا لغويًا، طريق الفصحى وميدانها، وتجعل المشافهة والحوار والتداول الخطابي، بصفته المظهر اللغوي الآخر طريق العامية وسبيلها، وكلما كان البون شاسعًا بين المظهرين أو

1- ازدواجية اللغة، نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها، محمد راجي الزغلول، ص 121.

2- المرجع نفسه، ص 122.

المستويين كان الشرخ كبيرًا؛ وهو يصب في غير مصلحة الفصحى، ويترتب عليه تباعد عنها، قد يفضي إلى الفجوة والنسيان[1].

وقد اعتبرت هذه الظاهرة اللغوية في نظر بعض المستشرقين من أهم المشكلات التي تعترض العربية، والحل في نظرهم إحلال العامية في جميع المجالات لكي تتحد اللغة، على الأقل في غير الأغراض الدينية، وإذا لم يحدث ذلك في نظرهم؛ فإن لغة الحديث والأدب ستنقرض وتحل محلها لغات أجنبية، نظرا لزيادة الاتصال بالدول الأوروبية.[2].

ورأى بعض المستشرقين أن الازدواجية هي السبب الرئيس في تأخر الكثير من الطلبة الأذكياء، بسبب الانفصام اللغوي بين لغة الواقع ولغة الكتابة، ورأوا أن أمل التقدم ضعيف طالما أن العامة تتعلم الفصحى، ولو قرأت الشعوب العربية لهجاتها العامية؛ فإن ذلك . وفق قولهم . سيؤدي لبزوغ فجر جديد في حياة العرب وتخلص الطبقات المثقفة من السخرة العقلية.[3].

تفنيد هذه الشبهة:

ازدواجية الفصحى والعامية ليست خاصة بالعربية فقط، بل هي من طبيعة كل اللغات، ومن هذه الطبيعة اللغوية تنشأ الازدواجية، ليصبح – مع الزمن – واقعا ناجزا، وسمة لازمة من سمات اللغة[4]، وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن هذه الظاهرة يجب أن تعالج بما يتناسب مع خصوصية كل لغة، وليس إبعاد الفصحى العربية

1- الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، عباس المصري وعماد أبو حسن، ص 6.

2- التأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية بين الإنصاف والإجحاف، محمد عيساوي، ص300.

3- المرجع نفسه، ص 305.

4- الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، عباس المصري و عماد أبو حسن، ص 5.

من الحياة؛ أو حصرها للأغراض الدينية؛ هو الحل الوحيد لذلك؛ لما لها من خصوصية تتعلق بالرسالة الخاتمة، ثم إن الفصحى في ذاتها ليست هي السبب في تأخر (العقول الذكية)، بل إن الواقع التاريخي للحضارة العربية الإسلامية يفند ذلك، بل لذلك أسباب تُبحث في محلها، ثم إن العامية ليست قسيمًا لغويًا للفصحى فلا يمكن مقابلتها بها.

ثانيًا– الجمود وعدم القدرة على مواكبة التطور العلمي:

في سبيل تغييب الفصحى التي هي لغة الوحي الإسلامي والسبب في تشكيل هوية موحدة بين الناطقين بها؛ قام المستشرقون بقذف الفصحى بتهمة القصور العلمي والعجز عن مواكبة التطور الحضاري، وعدم القدرة على استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة، ومن قولهم: (إن انتشار التعليم هذا الانتشار الخاطف استلزم الشروع فورا بتعلم العلوم الحديثة ومصطلحاتها الفنية – الجديدة على العرب– فكان ذلك عبئًا ثقيلاً على اللغة العربية، وبالرغم من مرونة العربية إلا أنها لم تتمكن من الاستجابة لهذا الطلب المفاجئ استجابة كافية)[1]؛ ففي نظرهم العربية لغة خرساء عاجزة عن اللحاق بركب العلوم والفنون، مجدبة مقفرة ليس لديها من الغنى ما يجعلها صالحة للحياة العصرية.

تفنيد هذه الشبهة:

هذا الاتهام لا يتفق مع حقيقة اللغة العربية، لأنها لغة حية لها طاقة هائلة على استيعاب المعاني الكثيرة في الكلمات القليلة، ويمكن معرفة ذلك من خلال الاطلاع على المعاجم العربية، ومن المستشرقين أنفسهم من أقر للعربية بهذه

1 – مواقف المستشرقين من قدرة اللغة العربية على استيعاب مصطلحات العلوم التجريبية، أبو سعد الأعظمي أرخان، ص 5 وما بعدها.

القدرة[1]، ومما يشهد لذلك أن الأمم المتحدة اعتمدت العربية لغة سادسة نظرا لأهميتها وعدد المتكلمين بها.

ثم إن الواقع التاريخي يثبت العكس تمامًا، فاللغة العربية لم تحافظ على الحضارة وحسب؛ بل صنعتها، وأوروبا مدينة للعربية بنهضتها، ثم إن الظواهر اللغوية كالوضع والقياس والاشتقاق والتعريب والتوليد والنحت التي تتميز بها العربية تجعلها مؤهلة لاستيعاب أي متغيرات وتطورات مع الحفاظ على أصالتها، يقول الشافعي في الرسالة: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبي".[2].

ثالثًا- عدم أصالة النحو العربي:

بعض المستشرقين نفى الأصالة عن كل ما هو عربي إسلامي، حيث يرون أن العلوم العربية ليست وليدة البيئة الإسلامية، إنما ترجع لأصول ومصادر خارجية في أساس وجودها ونشأتها، وتطورها أحيانا[3]؛ وليس النحو ببعيد عن هذا الاتهام، فعدوه هو الآخر من تأثيرات اليونان غالبا، وأحيانا من تأثيرات السريان والهنود [4].

وفي إطار هذه الشبهة، افترض المستشرقون علاقات علمية – إن صحت – بين أعلام العلوم العربية كالخليل بن أحمد الفراهيدي وأبي الأسود الدؤلي، وبين من لهم علاقة واضحة بالحضارة الفارسية كعبد الله بن المقفع، أو السريانية كيعقوب

1-للاطلاع على نماذج من أقوالهم ينظر: المرجع السابق، ص 96 وما بعدها.

2 -الرسالة، الشافعي، ج:1 ، ص34.

3 -بعض المستشرقين يقر بدور العرب والمسلمين في تطوير العلوم لكنه ينفي أن تكون تلك العلوم نشأت وولدت عند العرب والمسلمين.

4- المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، إسماعيل عمايرة، ص 42 وما بعدها.

الرهاوي وحنين بن إسحاق، وإذا وجدت هذه العلاقات العلمية فإنه من المحتم التأثر والأخذ عن تلك الحضارات . في رأيهم ..

كما أشاروا في إطار هذه الشبهة إلى بعض المسائل اللغوية التفصيلية كتقسيم الكلام لثلاثة أقسام، وبعض المفاهيم الاصطلاحية كالإعراب والقياس والحركة[1]، وأن وجودها عند العرب وبعض الحضارات والثقافات السابقة لهو دليل على أخذها عن تلك الحضارات وعدم أصالتها العربية.

تفنيد هذه الشبهة:

تعتمد الشبه الاستشراقية على افتراضات لا وجود لأدلة قاطعة عليها، واعتماد الفرضيات وبناء نتائج عليها يُعد خطأ في المنهج العلمي.

ومما يثبت عدم صحة هذه الافتراضات أن كتب النصوص النحوية وكتب تاريخ النحو لم تشر لهذا التأثر، وترد نشأة هذه العلوم لظروف محلية، مع انتماء أصحاب هذه المصادر لأعراق مختلفة، ومع ذلك لم يدعوا هذا الادعاء على اختلاف فروع المعرفة التي ينتمون إليها،[2] ومع عدم وجود غضاضة لدى المصادر الإسلامية في الاعتراف بالاستفادة من الحضارات المجاورة كنظام الديوان، تتبين عدم صحة هذه الشبهة.

كما أن المنطق اليوناني دخل مع حركات الترجمة في العصر العباسي، والنحو قد ظهر ونشأ لضرورة إسلامية محضة لخوف اللحن في القرآن الكريم، وذلك قبل العصر العباسي.

1- المرجع نفسه، ص44.

2- المرجع نفسه، ص 45 وما بعدها.

ومع كل هذا فإن اللغات بطبيعتها متشابهة بحكم تشابه النشاط العقلي الإنساني، ولا بّد من تأثر الحاضر بالماضي، والمستقبل بالحاضر، لكن ذلك لا يمنع من لإمكانية الإبداع والإضافة والتطوير والتنقيح.

رابعًا: صعوبة الحرف العربي والاملاء وصعوبة النطق:

هناك من المستشرقين من دعا إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، محتجًا بصعوبة الحرف العربي، كـ (فلهلم شبيتا) الذي يرى أن الخط العربي هو السبب في تخلف اللغة العربية، ويرى أن طريقة الكتابة (العقيمة) بحروف الهجاء (المعقدة) يقع عليها القسط الأكبر من اللوم.[1]

ويرى نفر من المستشرقين أيضا أن الاملاء والأصوات العربية منظومة معقدة، وأنها السبب في تأخر التعليم؛ إذ يستحيل على المبتدئ . في نظرهم . التمكن من فهمها والإبداع فيها.

تفنيد هذه الشبهة:

هذه الشبهة فيها الكثير من التعسف ضد العربية لعدة أسباب؛ منها أن صعوبة التعلم أمر نسبي يختلف من شخص لآخر، مع ملاحظة أنه قد يعود لصعوبات متعلقة بأشياء أخرى غير اللغة في ذاتها، كالمعلم والمتعلم ومناهج التعليم، بالإضافة إلى أن الاملاء العربية أيسر وأكثر انضباطًا منها في الفرنسية والانجليزية مثلاً اللتين تكثر فيهما الحروف التي تكتب ولا تنطق، والكلمات التي لها نطق يختلف عن هجائها، بينما لا توجد تلك الشواذ في الكتابة العربية.[2] كما أن

1- التأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية، محمد عيساوي، ص309.

2- أثر الاستشراق في اللغة العربية وآدابها، نور مدني ومحمد خان، ص 77.

النظام الصوتي الفريد للعربية هو غالبًا سبب سحرها وجمالها، وافتتان غير العرب بها.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث أصل إلى الخاتمة، والتي تنقسم إلى نتائج وتوصيات.

أولا- النتائج:

1. اللغة من النعم التي أنعم الله بها على البشر ولها دور مهم في الفكر والتواصل وتحديد الهوية، وتجاهل ذلك يحدث ردود فعل مختلفة، منها غير محمود العواقب.

2. اللغة العربية هي لغة الخطاب الإلهي للبشر، ولغة الخطاب هي بالضرورة لغة فهمه التي توصل لتفعيله، من هنا كان اهتمام المستشرقين باللغة العربية، كما دعاهم للاهتمام بها الانفتاح على الشرق وإرادة فهمه لدوافع مختلفة.

3. انطلق المستشرقون الطاعنون في العربية من فرضيات تفتقر للأدلة القطعية، وبدل معالجتهم لهذا الخطأ الإجرائي؛ انطلقوا من هذه الفرضيات على أنها مسلمات، وانتقلوا من مناقشتها إلى طرح أساليب أخرى للخروج بالعربية من الأزمات التي اختلقوها هم لها.

4. قضية عدم أصالة العلوم العربية والإسلامية واعتمادها على مصادر خارجية من القضايا المفتقرة للأدلة القطعية، وقد سجل القرآن الكريم نفسه في عدة مواضع هذه الشبهة التي يكررها المعارضون له منذ نزوله إلى أن يشاء الله، فقال تعالى﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[1].

1 -سورة الفرقان، الآية:5.

وتسجيل القرآن لهذه الشبهة فيه دليل على استمرارها من المنكرين، وهي مخالفة لطبيعة التعامل والتبادل الإنساني للمعارف، وعلاقات التأثير والتأثر الطبيعية بين الحضارات، مع الحفاظ على مساحة للإبداع والإضافة.

5. قضية ازدواجية اللغة من القضايا الشائكة التي يفرضها الواقع، والتي تحتاج لدراسات معمقة للوصول لحلول تخفف من حدة ردود الفعل، لكن لا شك أن استبعاد الفصحى يعد حلاً مستبعدًا جملة وتفصيلاً لما لها من خصوصية عند العرب والمسلمين.

ثانيًا: التوصيات:

1. تطوير مقررات ومناهج اللغة العربية بالجامعات والمؤسسات التعليمية، بحيث تواكب المستجدات التربوية والدعوية والتقنية.
2. عقد المؤتمرات، وإقامة المناظرات، وتنظيم الندوات من أجل فهم واستيعاب ما يقدم من المستشرقين عن اللغة العربية ونقدها نقدًا موضوعيًا.
3. المشاركة في الفعاليات والملتقيات العالمية والإقليمية التي تُعنى باللغة العربية، ودعم المشاركين بكل أوجه الدعم.
4. توجيه الجهود للاهتمام بلغة الإعلام، كونه المؤثر المباشر في تشكيل لغة الخطاب.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِ العالمين

قائمة المصادر والمراجع

أولاً– الكتب:

1. الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018م.
2. البنيوية، جان بياجيه، ترجمة: عارف منيمنه، بشير أوبري، دار عويدات، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1985م.
3. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة : الأولى.
4. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.
5. دلائل الإعجاز، أبوبكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1995م.
6. الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، 1940م.
7. العلاقة بين اللغة والفكر، أحمد عبد الرحمن حماد، دار المعرفة الجامعية، 1985م.
8. قضايا الشعرية، رومان جاكبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك كنوز، دار المعرفة الأدبية، 1988م.
9. اللغة والهوية وحوار الحضارات، نادية مصطفى وسيف الدين عبد الفتاح، برنامج حوار الحضارات بجامعة القاهرة، 2006م.

10.المستشرقون والمناهج اللغوية، إسماعيل أحمد عمايرة، دار حنين، عمان الأردن، 1992م.

11.المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، إسماعيل أحمد عمايرة، دار حنين الأردن، الطبعة: الثانية، 1996م.

12.المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1964م.

13.المقدمة، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق عبد الله الدرويش، دار يعرب دمشق، الطبعة: الأولى، 2004م.

14.مواقف المستشرقين من قدرة اللغة العربية على استيعاب مصطلحات العلوم التجريبية، لأبي سعد الأعظمي بن حافظ جمعة أرخان، جامعة طيبة السعودية، 1412هـ.

15.نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي بيروت، الطبعة: الأولى، 2002م.

16.الهوية العربية والأمن اللغوي، عبد السلام المسدي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات قطر، الطبعة: الأولى: 2014م.

17.وصف اللغة العربية دلاليا، محمد محمد يونس علي، جامعة الفاتح، طرابلس– ليبيا، 1993م.

ثانيًا: البحوث المنشورة.

1. أثر الاستشراق في اللغة العربية وآدابها، نور زمان مدني ومحمد التماس خان، مجلة برجس، جامعة العلوم والتكنولوجيا بانو/ باكستان، العدد:1، 2018م.

2. ازدواجية اللغة، نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها، محمد راجي زغلول، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد: 8، 1980م.
3. الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، عباس المصري وعماد أبو حسن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد: 8، 2014م.
4. التأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية بين الإنصاف والإجحاف، محمد عيساوي، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، العدد: 7، 2017م.
5. جدل العلاقة بين اللغة والهوية، عيسى برهومة، مجلة الغد الأردنية، 2002م.
6. المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، إسماعيل عمايرة، مجموعة بحوث جمعت، ونشرتها دار البشير، عمان الأردن، 1996م.